قوالب الثلج

تجد نفسها في الأعلى... ضباب كثيف يحجب نور عينيها... أصبحت بعيدة عن كل من حولها ... تحاول الاستغاثة فينعقد لسانها... تستسلم لقدرها، إلا أن الضباب سرعان ما ينقشع ليظهر بعده نور شديد تسمع من خلاله أصواتًا بشرية متشابكة... ينجلي النور لتجد نفسها محاطة بطاقم من الأطباء والممرضات الذين سارعوا إلى تهنئتها بعودتها إلى الدنيا..... أطفالها الثلاثة يتسابقون في الدخول إلى حضنها بدموع غزيرة ولهفة عارمة... زوجها يقبل خديها والدموع منهمرة من عينيه.... تستأنف غيبوبتها مرة ثانية... تستقر حالتها وبعد عدة أيام تعود إلى منزلها...

- ماذا قال لك الطبيب بشأن حالتي؟

- لا تقلقي يا عزيزتي، إنه مرضك المزمن الذي رافقك طوال عمرك.

- ولكن الأمر هذه المرة يبدو مختلفًا، لقد كنت قريبة جدًّا من... يحتضنها بعطف بالغ...

- لا تعودي لمثل هذا الكلام مرة أخرى، كل شيء سيكون على ما يرام.

- (بوجل) حقًّا.

- بالطبع، فكري فقط بأطفالك وبأيامك المقبلة، دعي عنكِ ما عدا ذلك.

يمسك بأطفاله ويجلس زوجته على كرسيها المتحرك ويذهب بهم إلى الملاهي... هناك تشاهد أطفالها وهم يلعبون، تغمرها سعادة عارمة، ترى الناس من حولها وهم في بهجة وسرور، تشعر بقوة تسري في جسدها، تغادر كرسيها المتحرك وسط تصفيق الناس من حولها، يشجعها زوجها ويحتضنها أطفالها... تمشي وتبتسم ابتسامة غناء وكأنها تغني للجمال من حولها... يتقدم نحوها أحد المعجبين...

– سيدتي أرجو أن تقبلي مني هذه الوردة الحمراء.

تأخذها منه بوجه باسم مشرق...

يتأمل في وجهها مليًّا، ينظر في عينيها...

- سيدتي العلة في الجسد لا في الروح، عندما تنامين تتحرر روحكِ من جسدكِ، فلا تشعرين بمرضك إلا عندما تستيقظين، ولكن عندما تكون علتك في روحك فإنك تشعرين بها في يقظتك ونومك.

تعود إلى شقتها وهي مبتهجة، تواصل علاجها، تظهر تقدمًا في مراحل العلاج...

- دكتور هل ستشفى؟

يخلع نظارته وينظر له بوجم...

- كل شيء بمشيئة السماء، إنها تقاوم بشراسة والنتائج جيدة.

**

تتمكن من ترك كرسيها المتحرك... روحها ترتبط بجسدها أكثر، تزداد قوة ونضارة، تعود لممارسة الكثير مما تركته سابقًا. السكينة والاطمئنان يغمران أسرتها مرة أخرى... في ليلة عيد الميلاد تخرج مع عائلتها لشراء هدايا العيد الجميلة، ثم تتناول وجبة عشاء شهية...

- الحمد الله يا حبيبتي لقد رجعت لك نضارتك وعاد زهوك.

-كل هذا بفضل الله ثم بفضل وقوفك معي يا زوجي الحبيب.

يعودان إلى مسكنهما، يقلبان في الهدايا...

- أوه هذه اللعبة مكسورة.

- لا عليك أرجعها بعد العيد.

- ولكني أريد إهداءها لابن أختي.

- وماذا ستفعل؟

- سأذهب لإعادتها.

- ولكن.

- لا تقلقي نصف ساعة ثم أعود.

يقبلها ثم يخرج مسرعا... تشعر بإحساس غريب يسري في جسدها... انقباضة في صدرها، الدنيا تمتلئ بغبار كثيف ..تتقدم من الشرفة بصعوبة بالغة، ترى زوجها وهو يركب سيارته... تناديه ولكنه لا يسمعها... صداع عنيف... ضغط رهيب يسري في أنحاء جسدها... تنادي أطفالها ولكنهم أصبحوا بعيدين عنها ...

تلتفت يمينًا وشمالا فترى ورودًا حمراء تحيط بها من كل صوب... تبتسم ثم تغفو...

**

نبضات قلبه متسارعة.... شعور غريب ينتابه لأول مرة... انقباضات صدره تتماوج، يرى ذلك الرجل الذي أهدى زوجته وردة حمراء قبل أسابيع... يقترب منه بصمت...

- هل تعتقد بأنها ستشفى؟

يجيبه بصوت جهوري بارد ...

- قد تمنح الروح النقية جسدها العليل القوة، ولكن الجسد يبقى مجرد آلة.

- ماذا تقصد؟

- جسد الإنسان ليس سوى رداء للروح وهذا الرداء قد يتعرض للتلف وتنتهي مهمته في أي وقت.

يتصل بزوجته محاولا الاطمئنان عليها ولكنها لا ترد عليه... ينتابه قلق عظيم... ينطلق بسيارته مسرعًا...

- كلا سأدخل بشكل طبيعي، لا أريد أن أشعرها بأني كنت قلقًا عليها.

يفتح الباب بهدوء... يناديها بحنان... ولكنَّ منزله ظل ساكنًا إلا من أنفاس بعيدة لأطفاله النائمين... يناديها بصوت يزداد هيجانًا ولكنها تبقى صامتة...

يبحث عنها في أنحاء البيت فيراها ملقاة على الأرض وقد برد جسدها، يحتضنها والدموع تنهمر من عينيه كالطوفان... يئن ... يصرخ ... يبكي .. يخاطبها بقلب مفجوع ونفس مرتاعة...

- عودي إلى جسدك يا حبيبتي، أعدك بأني سوف أفعل المستحيل ليكون صالحا لتسكني فيه، أرجوكِ امنحيني فرصة واحدة فقط...

يغسلها بدموعه ثم يحملها في تابوت ويضع عليه قوالب من الثلج، يأخذ أطفاله معه ويمضي بهم في درب طويل.

- أبي ما بال أمي لا تستيقظ من نومها؟

- لا تقلقوا يا أبنائي، أمكم نائمة بسبب الحمى، ضعوا عليها قوالب الثلج باستمرار حتى تنخفض حرارتها وتستيقظ لتضمكم في حضنها.

يضعون على جسدها المزيد من قوالب الثلج على أمل أن تغفو من صحوة نومها وتضمهم في حضنها على جري عادتها، إلا أنها تظل نائمة بينما يذرف زوجها دموعه الحبيسة بين فترة وأخرى حتى نهاية الطريق.